الأبالسة

قصة

تأليف : ج . ب . بريستلى

ترجمة : عبد الرازق يسرى

شعر مستر باتسون وهو يدخل العيادة النفسية بالرعشة حين جذب اليه دكتور سميث بدلا من شريكه دكتور مايستقار ليتولى فحصه . ودكتور سميث رجل في الخمسين من عمره يلبس نظارة ذات اطار ويحمل في يده قلما فاخرا اشار به الى مستر باتسون وهو جالس على مقعد امامه في غرفة مكتبه وسأله

ـ ما عملك على وجه التحديد يامستر باتسون ؟

ـ انى أقوم باعمال التصدير وهو ما تشتمل به كل اسرتنا فمن تتلقى الطلبات من الشرق الأقصى وغيره من المهات النائية ثم نتولى شراء البضائع وتصديرها ونستفيد بوجه خاص من فهمنا للوائح الصادرات وقيود التجارة التي لا يحسن فهمها المشترون من تلك الجهات .

ـ يبدو لى انك ناجح فى اعمالك وان كان اكثر الناس وانا منهم يشكون من متاعبهم المالية فى هذه الايام ـ قالها دكتور سميث وهو يضحك ضحكة مصطنعة كانه ممثل فى رواية هزلية .

وهنا اشترك معه مستر باتسون فى الضحك وهو يقول

ـ هذا صحيح .

ـ اذن تستطيع الا تقيموزنا للمتاعب المالية بالنسبة لك .

ـ نعم ، نعم بكل تأكيد .

ـ ما الذى تشكو منه اذن ؟

فقال مستر باتسون فى شىء من التردد .

ـ قبل ان اروى لك قصتى هل يمكننى ان اسالك سؤالا ؟

فقال دكتور سميث وهو مقطب الجبين .

ـ لا باس ان كنت تظن ان فى ذلك اية فائدة .

فبادره مستر باتسون بقوله

ـ هل تعتقد يا دكتور سميث ان هناك قوة شريرة فى هذا الكون تسعى جهد طاقتها لتدمير الانسانية مستعينة فى ذلك بابالسة يظهرون بيننا فى صورة البشر ؟

فقال دكتور سميث :

ـ لست ارى ذلك بكل تأكيد فهذا وهم لا يؤيده اى دليل علمى وان كان من السهل ادراك السبب فى سيطرة مثل هذه الفكرة السخيفة على عقل اى شخص يعانى من التوتر العاطفى ، غير ان المجال لايتسع هنا لتفسير ذلك ، ويكفى ان اخبرك انها مجرد خيال وان فكرة وجود قوة شريرة تكيد لنا فكرة خطرة، ولها نتائج عديدةالضررالمجتمع فهل تدرك ذلك يامستر باتسون ؟

ـ فى بعض الاحيان حين يمكننى النظر اليها كما تنظر انت ، اما فى اغلب الاحيان فانى لا انظر اليها كذلك وهذا سر وجودى هنا .

ـ فقال دكتور سميث وهو يدون شيئا فى مذكرته :

ـ حقا لقد احسن صنعا من نصحك بطلب العلاج النفسى فان هذه الاوهام كثيرا ما تتطور تطورات خطيرة ، غير انه لا داعى لارغامك بذكر التفاصيل الفنية وحسبى ان اقول لك انك انت أو قريبك جدير بالتهنئة على الاقدام على هذه الخطوة فى العلاج ، والآن من الافضل ان تخبرنى بقصتك الكاملة دون ان تحذف شيئا قد يبدو مثيرا للسخرية اذ انى لن استطيع ان اساعدك الا اذا كنت صريحا معى كل الصراحة ، وربما اوجه لك بعض الاسئلة غير أنى لا اريد بذلك الا زيادة الايضاح .

فاخذ مستر باتسون يستجمع ذكرياته ثم قال :

ـ منذ عام او نحو ذلك دعانى ابن عمى الى تناول العشاء معه فى ناديه فلما انتهينا منه دعت الى بهو الاستراحة وهناك سمعت فيربرايت ذلك الرسام الشهير يذكر لجماعة من اصدقائه تلك الفكرة قائلا انه سمعها فى سوريا .

فعلت وجه دكتور سميث ابتسامة خفيفة وهو يقول :

ـ لعلك تقصد فكرة الثورة الشريرة التى تسعى الى تدمير الانسانية ؟

ـ بالضبط ، وقد قال فيربرايت ان الشاعر بليك كان اول من اعلن انهـا احدث تعمل بيننا فى السنين الاخيرة .

فرفع دكتور سميث حاجبيه وهو يقول

ـ تعمل بيننا ! ماذا تعمل ؟

ـ ان هدفها الرئيسى حسب قول فيربرايت هو ان تحمل الناس يسلكون السبيل الذى سلكته الخبرات الاجتماعية فيتحولون الى مخلوقات اوتوماتيكية ، الى كتل من كائنات عديمة النزعة الفردية ، الى آلات من اللحم والدم .

فبدا على وجه دكتور سميث المرح وهو يقول :

ـ ولكن ماذا تقصد الثورة الشريرة من هذا العمل ؟

فاجاب مستر باتسون :

ـ انها تريد ان تدمر روح الانسانية وتمحو من الارض السرور ومحبة الحياة ، هذا ما قاله فيربرايت .

ـ ولكن الم تكن انت تعتنق مثل اعتقاده ؟

ـ انا لم اتمالك نفسى من الاحساس بصحة ما يقول ـ وقد كنت قبل ذلك

لا ارى هذا الراى ولااعتقد بهذه النظريات غير أني بدأت ارى ان الأمور ليست على ما يرام وبعد ان كنت اعتقد ان الانسان هو الذي يرسم حياته كيف يشاء اصبحت اجد شيئا فشيئا ان الناس يعيشون على خلاف ما يشتهون . انهم اشبه بمن يرسل ملابسه لحل التعقيد فيعيدها له باهتة اللون كنسبة المطر . هل تفهمني يا دكتور ؟

ـ نعم . نعم . هذا ضعف من الناس يعرفه الطب وقد يكون لسنك وطبقتك الاجتماعية اثر في ذلك . فلا تنس ان الطبقة الوسطى قد تاثرت في أعقاب الحرب من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية .

فأجاب مستر باتسون محتدا

ـ هذا لا يعنيني في شيء . عامة لا يضيرني ان كانت هذه الطبقة الاجتماعية قد اصابها ضرر كثير اوقليل انما الذي اريد ان اقدره ..

ـ ان فكرة وجود قوة خفية شريرة لا تعتبر تعليلا مقنعا لتعاسة الناس .

ـ لقد ذكرت لك بداية الموضوع فحسب واجب ان استكمله .

ان لهذه القوة اعوانا .

ـ اعوانا ! لعل ميريرايت هو الذي اوحى اليك بهذه الفكرة .

ـ طبعا ولكني ارى انه لا بد لهذه القوة من وسيلتين لكي تحملنا نسلك سلوك الحشرات . احداهما ان تستخدم نوعا من الدعاية المستمرة لتمنعنا من الاقدام على اي امر جديد وايثار السلامة والبعد عن التأملات والقيام بالاعمال الروتينية والوسيلة الثانية هي استخدام هؤلاء الاعوان .

ـ ما موقف هؤلاء الاعوان منا ؟

ـ انهم اشبه بالطابور الخامس الذي يعمل على الهدم في كل مكان . فهم يكرهوننا ويمارسون العمل ضدنا زرافات ووحدانا ويهيىء بعضهم لبعض الوظائف ذات النفوذ .

ـ ما اسم هؤلاء ؟

ـ الأبالسة .

ـ لعلك تعتقد انهم مخلوقات خيالية او اشباح قادرة على الشر والايذاء .

ـ قالها دكتور سميث بشيء من نفاد الصبر فأجابه باتسون

ـ لا . لا . انا لست من السذاجة بحيث اتصور ذلك ، انهم اشخاص حقيقيون دائبون على العمل كالنحل .

ـ لو ان لهذه الفكرة ظلا من الحقيقة بحيث كان هؤلاء الاشخاص يمتلكون حقا للتاثير فينا والسيطرة علينا لكنت يا مستر باتسون قابلت واحدا منهم على الاقل .

من قال اني لم اقابل منهم أحدا ؟ لقد قابلت منهم كثيرين، عشرة على الأقل من بينهم صغيرة .

وفي هذه المرة لم تبد الدهشة على دكتور سميث بل أخذ يتفرس في وجه مستر باتسون برهة ثم جعل يدون شيئا في مذكرته وهو يقول

ـ لقد قابلت عشرة منهم على الأقل.

وصهرك من بينهم . كيف اكتشفت انه من طائفة الاباليسه ؟ .

ـ لقد ظللت أعجب من أمر هارولد بضع سنين ولو أني كنت أكرهه باستمرار فهو من اولئك الذين لايمكنك ان تفهمهم . فاعمالهم لاتدل على وجود اى شعور انساني لديهم او اى دافع يستحق التقدير . انهم يتصرفون كما لو كانوا آلات اوتوماتيكية .

هل تدرك مادا اعني يا دكتور ؟

ـ يحسن ان تخرجني من هـذا الموضوع . وحسبك ان تخبرني عن رأيك في هارولد .

ـ اجل . انه عديم الاحساس ولست احتمع به الا من اجل زوجتي . حقا ان موقفه ليس بالعدائي غير انه لايستمع الى مثلا وانا اكلمه الا وهو متأفف واذا سألته احاسي متثاقلا بردود فلا احسد مفرا من التوقف عن محادثتـه حتى في شئوني الخاصة . انه لا يشجعني على الحديث معه بل يحملق في بعينيه وهو صامت . ومع انه موظف بالمجلس البلدي من واجبه ان يعمل على ارضاء الناس الا انه يعندني ولا يكاد يجيبني اجتمع شيء الا ويعترضه على . فانا معرم بالمعارض ولكني اذا دهمت الى احدها مع هارولد لا أشعر باى متعة واذا رافقته لمشاهدة مباراة في كرة القدم تحولت الى شيء ممل واذا دعوته الى حفلة عائلية صرت اعاني من وجوده ما اعاني واذا ذكرت له ما اعده من خطط لزيادة اعمالي بادر بتحذيري حماسني وافهامي انهـا لا تستحق المجازفة وحتى على أن أدع الامور تسير في مجراها العادي .

كان هذا يحدث قبل ان استمع الى فكرة الاباليسة فلما وعيتها بدات اهتم بشئون المجلس البلدي لارى مبلغ التاثير السيء الذي يحدثه هارولد في الاعضاء فكم من موظف كفء عمل هو ووكيل المجلس ـ وهو من طائفة الاباليسه كذلك ـ على تضليله أو ان استبدل به موظفا ضعيفا بحجة التوفير مع اني لاحظت أن المجلس لايراعي التوفير الا اذا اقتضى الامر الانفاق من اجل مقاومة طائفة الاباليسة اما بالنسبة للرسميات والمظاهر فالمجلس لايعرف الوفر . وهذا ما تشكو منه بلدتنـا والدولة باكملهـا بل كثير من الدول الاخرى كذلك .

فقال الدكتور :

ـ وهل اعتقدت نفسا ان هارولد من الاباليسة ؟

ـ كونت رأيي فيه بعد ان فكرت طويلا فيما قاله ديريات ويعلم الله اني لم أكن اعتقد فيه ذلك من قبل . واغلب ظني ان نفسا من نفوس الاباليسة قد تقمصته وان نفوس الاباليسةقد تقمصت كثيرين سواه . فبهذا وحده يمكن أن نعلل كثرة عددهم في وقتنا الحاضر ولا ريب انهم يعرفون بعضهم البعض ويتعاونون تعاونا وثيقا ويتلقى بعضهم أوامر بعض ويعبدونهـا كما لو كانوا جمعيا سربا منظما .

الفرصة الوحيدة الباقية امامنا لمقاومتهم هي كشف امرهم للناس واعلان الحرب عليهم .

عند ذلك قال الدكتور سيمبث قائلا :

ـ كيف نقاوم هذا الجيش اذا كان سريا كما تقول ؟

ـ لقد فكرت طويلا في ذلك وليس الأمر ميئوسا منه كما قد يتبادر الى ذهنك فبالبحث والاستقصاء يمكن معرفتهم كما عرفت أنا هارولد ووكيل المجلس البلدي ونحو عشرة غيرهما اني اعرف السؤال الذي يجول بخاطرك يا دكتور وهو ماذا كانوا كلهم من الموظفين العموميين ـ والجواب لا ولكن اكثرهم من الموظفين لأن السلطة كامنة في هؤلاء كما ان منهم السياسيين كذلك ورجال المال ، وكلهم يتسمون بتلك النظرة الخبيثة واللمسة الكريهة ويمكنك ان تحكم على صدق ما اقول لو شاهدت مثلي مؤتمرا من مؤتمراتهم.

فقال دكتور سميث

ـ اي مؤتمراتهم شاهدت ؟

ـ ان كنت مصرا على معرفة التفاصيل فانا على استعداد لذكرها. لقد استرقت السمع ذات يوم فوجدت هارولد ووكيل المجلس البلدي يرمقان التوجه الى قاعة مونتي على بعد عشرين ميلا لحضور

مؤتمر لوضع خطة العام الجديد ، ولم اعر هذا الموضوع التفـــاتا في بادئ الامر ، غير انه عندما اقترب الموعد خطر لي ان اتتبعهـا سرا لاكتشـف ما يدبره هؤلاء الاباليسة في الخفاء في ذلك المكان الريفي البعيد ، فذهبت اليه بالسـيارة وتسللت من باب الخدم الى داخل المبنى ومن حسن الحظ لم يعترضني احد حتى رأيت بابا مغلقا عاجلته حتى فتحته فوجدته يؤدي الى غرفة لها شرفة تطل على قاعة المؤتمر ، فرجعت حتى لا يراني احد ، وجعلت اطل من خـــلال السور فرأيت نحو اربعمائة عضو من الاباليسة في مؤتمرهم الجهنمي حيث تجـــرى مناقشاتهم التي تجعل دائمـــا مصيبي مما يجعل الامر ملتبسا على السامع وهذا ما نرع فيه الاباليسة ، فهم يتظاهرون بانهم مواطنون مخلصون ولكنهم يعملون على سلب كياننا الفردي وجعلنا نحيا حياة كحيـــاة الحشرات ، وقد جعلت اختلس النظرات اليهم اختلاسا لما كنت اعانيه من الرعب ، فقد كنت اعلم ان اقل بادرة تبدر مني معناها الاعتقـال وكنت احس بصوت زعيمهم وهو يخطب كانما ينساب الى عبر خط تليفـــونى فيسري في دمي وعظامي قبل ان يطرق اذني ،

فقاطعه دكتور سميث قائلا

ـ ماذا سمعته يقول ؟

ـ قبل ان اذكر ماقاله سأخبرك بشيء لن تصدقه ، فعندما اختلست النظرة الاخيرة اليهم رأيت منظرا كاد يجمد منه دمي في عروقي فقد رأيت مئات منهم وقد عادوا الى اشـــكالهم الاصـــلية فتحـولوا الى ما هو أشـــبه بحشرات سمينة لها عيون كانها شـــعلات من جهنم ،

فعاد دكتور سميث يستحثه قائلا

ـ ولكن ماذا سمعت زعيمهم يقول ؟ هذا ما اريد معرفته ،

وهنا مسح مستر باتسون جبهتـــه المبللة بالعرق وهو يقول

ـ لقد سمعته يشكرهم على ما قاموا به من جهد نحو طمس صـفات الجنس البشري ، وصدقني يا دكتور انه لم يبق لنا الا فرصة اخيرة لمحـــاربتهم بكل ما اوتينا من قوة ـ قالها مستر باتسون وهو يلوح بذراعيه في عنف ،

عند ذلك رنت دكتور سميث عـــلى كتفه مهدئا ورجاه ان ينتظره حتى يعود فلما تخطى عتبة الغرفة وجد دكتـــور ما ينشتاين لا يكاد يملك نفســـه من الضحك عـــلى ما ســـمعه من خرافة الاباليسة وبعد لحظة أطلق الطبيـــبان ومرضهما الضخم على مستر باتسون فالبساه قميص المجـــانين في الوقت الذي كان يشعر فيه بلا ادنى شك انهم من الاباليسة ،